موقف الإمام أبي حيان من عقيدة البنوة عند اليهود
من خلال تفسيره البحر المحيط

الباحث/ مغربي عثمان مغربي

الملخص:

إن ظاهرة الغلو في الأشخاص ورفعهم فوق منزلتهم التي أنزلها الله إياهم آفة مشتركة بين الأمم على مر العصور والدهور وإن هذه الظاهرة من أخطر ما يهدد دين الله في كل زمان ومكان ذلك أن الغلو في تعظيم الأشخاص وتقديسهم إذا تسرب إلى الدين انحرف به عن الصراط المستقيم وحوله من الإيمان إلى الكفر ومن التوحيد إلى الشرك.

إن هذا الداء أصيب به شعوب كثيرة جعلت زعمائها وعظمائها آلهة من دون الله ومن الذين ضلوا بهذا السبب اليهود والنصارى ولقد عرض الإمام أبو حيان لعقيدة البنوة عند اليهود والنصارى و بدأ بذكر الأقوال فيمن قال بهذا القول الشنيع فقال عند تفسيره لقول الحق جل وعلا ﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ عُزَيْرٌ ابْنُ اللَّهِ وَقَالَتِ النَّصَارَى الْمَسِيحُ ابْنُ اللَّهِ ذَلِكَ قَوْلُهُمْ بِأَفْوَاهِهِمْ يُضَاهِئُونَ قَوْلَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَبْلُ قَاتَلَهُمُ اللَّهُ أَنَّى يُؤْفَكُونَ ﴾ (التوبة /٣٠)

"وقائل ذلك قوم من اليهود كانوا بالمدينة. قال ابن عباس : قالها أربعة من أحبارهم : سلام بن مشكم ، ونعمان بن أوفى ، وشاس بن قيس ، ومالك بن الصيف. وقيل : قاله فنحاص. وقال النقاش : لم يبق يهودي يقولها بل انقرضوا ، وتذم الطائفة أو تمدح بصدور ما يناسب ذلك من بعضهم. قيل : والدليل على أن هذا القول كان فيهم أنّ الآية تليت عليهم فما أنكروا ولا كذبوا مع تهالكهم على التكذيب"

Summary:

The phenomenon of extremism in people and raising them above their status that God has bestowed on them is a common scourge among nations throughout the ages and ages. This phenomenon is one of the most dangerous things that threatens the religion of God in every time and place. This is because extremism in venerating and sanctifying people, if it seeps into religion, deviates it from and around the straight path. From faith to disbelief and from monotheism to polytheism.

This disease has afflicted many peoples who have made their leaders and greats gods other than God, and among those who have gone astray due to this are the Jews and Christians. Imam Abu Hayyan presented the doctrine of filiation among the Jews and Christians and began by mentioning the opinions of those who said this hideous statement. He said, when interpreting the words of the Truth, may He be glorified and exalted, "And the Jews said: Uzair is the son of God, and the Christians said, "The Messiah is the son of God." That is what they said with their mouths, imitating the words of those who disbelieved before. So be "And those who said that were a group of Jews who were in Medina. Ibn Abbas said: Four of their rabbis said it: Salam bin Mishkam, Numan bin Awfa, Shas bin Qais, and Malik bin Al-Sayf. And it was said: It was said by Fannahas. Al-Naqash said: There is no Jew left who says it. Rather, they have become extinct, and are disparaged. The sect or is praised by the issuance of something appropriate to that by some of them. It was said: The evidence that this statement was among them is that the verse was recited to them, and they did not deny it nor did they lie, despite their exhaustion in denying it" .

أولا : أبي حيان وموقفه من عقيدة النبوة عند اليهود :

عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه أن أناسا في زمن النبي صلى الله عليه وسلم قالوا يا رسول الله هل نرى ربنا يوم القيامة قال النبي صلى الله عليه وسلم نعم هل تضارون في رؤية الشمس بالظهيرة ضوء ليس فيها سحاب قالوا لا قال وهل تضارون في رؤية القمر ليلة البدر ضوء ليس فيها سحاب قالوا لا قال النبي صلى الله عليه وسلم ما تضارون في رؤية الله عز وجل يوم القيامة إلا كما تضارون في رؤية أحدهما إذا كان يوم القيامة أذن مؤذن تتبع كل أمة ما كانت تعبد فلا يبقى من كان يعبد غير الله من الأصنام والأنصاب إلا يتساقطون في النار حتى إذا لم يبق إلا من كان يعبد الله بر أو فاجر وغبرات أهل الكتاب فيدعى اليهود فيقال لهم من كنتم تعبدون قالوا كنا نعبد عزير ابن الله فيقال لهم كذبتم ما اتخذ الله من صاحبة ولا ولد فماذا تبغون فقالوا عطشنا ربنا فاسقنا فيشار ألا تردون فيحشرون إلى النار كأنها سراب يحطم بعضها بعضا فيتساقطون في النار ثم تدعى النصارى فيقال لهم من كنتم تعبدون قالوا كنا نعبد المسيح ابن الله فيقال لهم كذبتم ما اتخذ الله من صاحبة ولا ولد فيقال لهم ماذا تبغون فكذلك مثل الأول حتى إذا لم يبق إلا من كان يعبد الله من بر أو فاجر أتاهم رب العالمين في أدنى صورة من التي رأوه فيها فيقال ماذا تنتظرون تتبع كل أمة ما كانت تعبد قالوا فارقنا الناس في الدنيا على أفقر ما كنا إليهم ولم نصاحبهم ونحن ننتظر ربنا الذي كنا نعبد فيقول أنا ربكم فيقولون لا نشرك بالله شيئا مرتين أو ثلاثا" [1]

و ذكر الإمام السبب الذي دعا اليهود إلى هذا القول فقال " وسبب هذا القول أن اليهود قتلوا الأنبياء بعد موسى ، فرفع اللّه عنهم التوراة ومحاها من قلوبهم ، فخرج عزير وهو غلام يسيح في الأرض ، فأتاه جبريل فقال له : إلى أين تذهب؟ قال : أطلب العلم ، فحفظه التوراة ، فأملاها عليهم عن ظهر لسانه لا يخرم حرفا فقالوا : ما جمع اللّه تعالى التوراة في صدره وهو غلام إلا أنه ابنه ، ونقلوا حكايات في ذلك "[2]

من خلال النصوص السابقة قرر الإمام أبو حيان أن السبب في اعتقاد اليهود أن عزيرا ابن الله هو ما أجراه الله – عز وجل – على يديه من كرامات تمثلت في إلهامه التوراة بعد أن فقدت من بني إسرائيل ونسخت من صدورهم ، لكن اليهود لم يدركوا حقيقة ذلك

[1] الحديث رواه البخاري (كتاب تفسير القرءان – باب قوله تعالى ﴿ إن الله لا يظلم مثقال ذرة ﴾ -(٦/٤٤/٤٥٨١)، ومسلم (كتاب الإيمان – باب معرفة طريق الرؤية (١ /١٦٣/١٨٢)

[2] أبو حيان الأندلسي – البحر المحيط – ج٥ ص ٣١، ٣٢ – مرجع سابق

فغالوا فيه وعظموه وأحبوه حبًا شديدًا وزعموا أن هذه الأفعال ما صدرت عنه إلا لأنه ابـــن الله .

١–نقد الإمام أبي حيان – رحمه الله – لعقيدة البنوة عند اليهود من خلال تفسيره البحر المحيط:

كان للإمام أبي حيان دوره البارز في الرد على أهل الكتاب الـــذين اعتقـــدوا البنـــوة لله – عز وجل – وقد سلك في هذا كعادته مسلك القرءان الكريم والسنة النبوية في الـــرد علـــى أهل الكتاب الذين ادعوا أن لله ولدًا وفي النصوص التالية نبرز جهود الإمام أبي حيان في نقد عقيدة البنوة عند اليهود وهي:–

أ–نقد عقيدة البنوة عند اليهود في ضوء العقل :–

لقد سلك الإمام أبو حيان في نقده لهذه العقيدة مسلك القرءان الكريم الذي اعتمد على العقـــل والمنطق حيث بين الإمام أن الاعتقاد أن لله ولد زعم باطل وعبث لا يليق بذات الله وكماله – عز وجل –لأن كل مافي السماوات والأرض خاضع لسلطانه منقاد لمشيئته فـــلا حاجـــة إلى اتخاذ الولد إذ كيف يتخذ ولد وكل ما في الوجود في قبضة يده فقال في قوله تعـــالى وَقَالُوا اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا سُبْحَانَهُ بَلْ لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ كُلٌّ لَـــهُ قَـــانِتُونَ (البقـــرة – ١١٦)

"نزلت في اليهود ، إذ قالوا : عُزَيْرٌ ابْنُ اللَّهِ «١» ، أو في النصارى ، إذ قالوا : الْمَـــسِيحُ ابْنُ اللَّهِ ، أو في المشركين ، إذ قالوا : الملائكة بنات اللّه ، أو في النصارى والمـــشركين ، أقوال أربعة والأخير قاله الزجاج ولاختلافهم في سبب النزول ، اختلفوا في الضمير فـــي وقالوا ، على من يعود؟ فقيل : هو عائد على الجميع من غير تخصيص. فإن كلًّا منهم قـــد جعل للّه ولدا ، قاله ابن إسحاق ، والجمهور على قراءة وقالوا بالواو وقرأ ابن عباس وابن عامر وغيرهما : قالوا بغير واو "[(١)]

"وكل من الوجهين يقتضي تصوره باستحالة الولد ، لأن الولد يكون من جنس الوالد. فـــإن جعلت اتخذ بمعنى عمل وصنع ، استحال ذلك ، لأن الباري تعالى منزه عـــن الحـــدوث ، قديم ، لا أولية لقدمه ، وما عمله محدث ، فاستحال أن يكون ولد إلـــه. وإن جعلـــت اتخـــذ بمعنى صير ، استحال أيضا ، لأن التصيير هو نقل من حال إلى حال ، وهذا لا يكـــون إلا فيما يقبل التغيير ، وفرضية الولد به تقتضي أن يكون من جنس الوالد لا تقتضي التغييـــر ، فقد استحال ذلك. وإذا جعلت اتخذ بمعنى صير ، كان أحد المفعولين محـــذوفا ، التقـــدير :

(١) أبو حيان الأندلسي – البحر المحيط – ج١ ص٥٣٢– مرجع سابق – بتصرف

وقالوا اتخذ بعض الموجودات ولدا. والذي جاء في القرآن إنما ظاهره التعدي إلى وجه واحد ، قال تعالى :﴿ وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمنُ وَلَداً «٤» ، مَا اتَّخَذَ اللَّهُ مِنْ وَلَدٍ «٥» ، وَمَا يَنْبَغِي لِلرَّحْمنِ أَنْ يَتَّخِذَ وَلَداً «٦».﴾"[١]

"ولما كانت هذه المقالة من أفسد الأشياء وأوضحها في الاستحالة ، أتى باللفظ الذي يقتضي التنزيه والبراءة من الأشياء التي لا تجوز على اللّه تعالى ، قبل أن يضرب عن مقالتهم ويستدل على بطلان دعواهم. وكان ذكر التنزيه أسبق ، لأن فيه ردعا لمدعي ذلك ، وأنهم ادعوا أمرا تنزه اللّه عنه وتقدس ، ثم أخذ في إبطال تلك المقالة فقال : بَلْ لَهُ ما فِي السَّماواتِ وَالْأَرْضِ : أي جميع ذلك مملوك له ، ومن جملتهم من ادعوا أنه ولد اللّه.والولادة تنافي الملكية ، لأن الوالد لا يملك ولده"[٢]

"ولما ذكر أن الكل مملوك للّه تعالى ، ذكر أنهم كلهم قانتون له ، أي مطيعون خاضعون له. وهذه عادة المملوك ، أن يكون طائعا لمالكه ، ممتثلا لما يريده منه. واستدل بنتيجة الطواعية على ثبوت الملكية. ومن كان بهذه الصفة لم يجانس الوالد ، إذ الولد يكون من جنس الوالد." [٣]

ب –نقد الإمام أبي حيان لهذه العقيدة الفاسدة بشهادة الواقع والحال :-

يقرر الإمام أبو حيان أن الاعتقاد بأن لله ولدا من أشنع الظلم وأقبح الكفر وأعظم الضلال التي تكاد أن تتمزق لفظاعته الأرضون وتتشقق لشدة نكرانه السماوات وتصير لهوله الجبال الشامخات ترابًا. فقال عند قوله تعالى :﴿ وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَنُ وَلَدًا * لَقَدْ جِئْتُمْ شَيْئًا إِدًّا * تَكَادُ السَّمَوَاتُ يَتَفَطَّرْنَ مِنْهُ وَتَنْشَقُّ الْأَرْضُ وَتَخِرُّ الْجِبَالُ هَدًّا *أَنْ دَعَوْا لِلرَّحْمَنِ وَلَدًا *وَمَا يَنْبَغِي لِلرَّحْمَنِ أَنْ يَتَّخِذَ وَلَدًا * إِنْ كُلُّ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ إِلَّا آَتِي الرَّحْمَنِ عَبْدًا * لَقَدْ أَحْصَاهُمْ وَعَدَّهُمْ عَدًّا * وَكُلُّهُمْ آَتِيهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَرْدًا ﴾ **(مريم /٨٨-٩٥)**

الضمير في قالُوا عائد على بعض اليهود حيث قالوا عزيز ابن اللّه ، وبعض النصارى حيث قالوا المسيح ابن اللّه ، وبعض مشركي العرب حيث قالوا : الملائكة بنات اللّه لَقَدْ جِئْتُمْ أي قل لهم يا محمد لَقَدْ جِئْتُمْ أو يكون التفاتا خرج من الغيبة إلى الخطاب زيادة تسجيل عليهم بالجرأة على اللّه والتعرض لسخطه وتنبيه على عظيم ما قالوا. [٤]

في هذا النص يذكر الإمام أبو حيان القائلين لهذا القول ويبين خطورة هذا القول الذي وصفوا به الحق جل وعلا ثم يذكر الإمام أنهم أتوا أمرًا شنيعًا صعبًا.

---

[١] المرجع السابق – ج١ ص ٥٣٢

[٢] أبو حيان الأندلسي – البحر المحيط – –ج١ ص ٥٣٢

[٣] المرجع السابق –ج١ ص ٥٣٢

[٤] المرجع السابق – ج ٦ ص ٢٠٥

وقال ابن عباس إن هذا الكلام فزعت منه السموات والأرض والجبال وجميع الخلائق إلّا الثقلين وكدن أن يزلن منه تعظيما للّه تعالى. وقيل : المعنى كادت القيامة أن تقوم فإن هذه الأشياء تكون حقيقة يوم القيامة. وقيل : تَكادُ السَّماواتُ يَتَفَطَّرْنَ أي تسقط عليهم وَتَنْشَقُّ الْأَرْضُ أي تخسف بهم وَتَخِرُّ الْجِبالُ هَدًّا أي تنطبق عليهم. وقال أبو مسلم : تكاد تفعل ذلك لو كانت تعقل من غلظ هذا القول ، وانتصب هَدًّا عند النحاس على المصدر قال : لأن معنى تَخِرُّ تنهد انتهى. [1]

"قصارى ذلك – إن هذه الكلمة الشنعاء لو صوّرت بصورة محسوسة لم تتحملها هذه الأجرام العظام ، وتفرقت أجزاؤها من شدتها.وفى ذلك تنبيه إلى غضب اللّه تعالى على قائل هذه الكلمة ، وأنه لو لا حلمه سبحانه لهلك"[2]

ج- نقد هذه العقيدة بشهادة الشرع :-

بين الإمام أبو حيان أن الله – عزوجل – أمر رسوله أن يثني عليه بالحمد لأنه نزه ذاته عن تلك النقائص وهذا من أجل النعم التي توجب الثناء والشكر من عباده فقال عند قوله تعالى :﴿ وَقُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُنْ لَهُ شَرِيكٌ فِي الْمُلْكِ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ وَلِيٌّ مِنَ الذُّلِّ وَكَبِّرْهُ تَكْبِيرًا ﴾(٣)

"وصف نفسه بأنه لَمْ يَتَّخِذْ وَلَداً فيعتقد فيه تكثر بالنوع ، وكان ذلك ردّا على اليهود والنصارى والعرب الذين عبدوا الأصنام وجعلوها شركاء للّه ، والعرب الذين عبدوا الملائكة واعتقدوا أنهم بنات اللّه. ونفى أولا الولد خصوصا ثم نفى الشريك في ملكه وهو أعم من أن ينسب إليه ولد فيشركه أو غيره ، ولما نفى الولد ونفى الشريك نفى الولي وهو الناصر ، وهو أعم من أن يكون ولدا أو شريكا أو غير شريك. ولما كان اتخاذ الولي قد يكون للانتصار والاعتزاز به والاحتماء من الذلّ وقد يكون للتفضل والرحمة لمن والى من صالحيّ عباده كان النفي لمن ينتصر به من أجل المذلة" "[4]

وقد وصف سبحانه نفسه بثلاث صفات "(١)إنه لم يتخذ ولدا ، فإن من يتخذ الولد يمسك جميع النعم لولده ، ولأن الولد يقوم مقام الوالد بعد انقضاء أجله وفنائه – تنزه ربنا عن ذلك – ومن كان كذلك لم يستطع الإنعام فى كل الحالات ، فلا يستحق الحمد على الإطلاق .وفى هذا رد على اليهود الذين قالوا عزيز ابن اللّه ، والنصارى الذين قالوا المسيح ابن اللّه ، تعالى اللّه عما يقولونه علوا كبيرا.(٢) إنه ليس له شريك فى الملك ، إذ لو كان له

---

[1] أبو حيان الأندلسي – البحر المحيط – – ج ٦ ص ٢٠٦

[2] المراغي (أحمد مصطفى)- تفسير المراغي – ج١٦ ص ٨٨ -شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابى الحلبي وأولاده بمصر – ط : ١ ،١٣٦٥ه – ١٩٤٦م

(٣) (الإسراء /١١١)

[4] أبو حيان الأندلسي – البحر المحيط – ج٦ ص ٨٨ مرجع سابق

ذلك لم يعرف أيهما المستحق للحمد والشكر ، ولكان عاجزا ذا حاجة إلى معونــة غيــره ، ولم يكن منفردا بالملك والسلطان. (٣) إنه لم يكن له ولىّ من الذل أي لم يوال أحــدا مــن أجل مذلة به يدفعها بموالاته. "[١]

كما بين الإمام أبو حيان أن الرسول – صلى الله عليه وسلم- أول مــن أقــر لله بالعبوديــة وانتفاء الولد عنه فقال عند قوله تعالى ﴿ قُلْ إِنْ كَانَ لِلــرَّحْمَنِ وَلَــدٌ فَأَنَــا أَوَّلُ الْعَابِــدِينَ ﴾ (الزخرف /٨١)

." وأخذ الزمخشري هذا القول وحسنه بفصاحته فقال : إن كان للرحمن ولد ، وصح ذلــك وثبت ببرهان صحيح يوردونه ، وحجة واضحة يبذلونها ، فأنا أول من يعظم ذلك الولــد ، وأسبقكم إلى طاعته والانقياد له ، كما يعظم الرجل ولد الملك لعظمأبيه. وهــذا كــلام وارد على سبيل الفرض والتمثيل لغرض ، وهو المبالغة في نفي الولد والإطنــاب فيــه ، وأن لا يترك الناطق به شبهة إلا مضمحلة مع الترجمة عن نفسه بثبات القدم في بــاب التوحيــد ، وذلك أنه علق العبادة بكينونة الولد ، وهي محال في نفسها ، فكان المعلق بها محالا مثلهــا. فهو في صورة إثبات الكينونة والعبادة ، وفي معنى نفيها على أبلغ الوجوه وأقواها." "[٢]

ثم وضح الإمام فقال "والولد عبارة عن أن ينفصل عن الشيء جزء من أجزائــه ، فيتولــد منه شخص مثله ، ولا يكون إلا فيما هو قابل ذاته للتجزي ، وهذا محال في حقه تعــالى ، فامتنع إثبات الولد." "[٣]

كما قرر الإمام أبو حيان أن الله – عزوجل – وصف بصفات الكمال والجلال ونــزه عــن صفات النقص والاحتياج التي هي من خصائص البشر فقال عند تفسيره لسورة الإخــلاص " وعن ابن عباس ، أن اليهود قالوا : يا محمد صف لنا ربك وانسبه ، فنزلت. وعن أبــي العالية ، قال قادة الأحزاب : انسب لنا ربك ، فنزلت. ولا خلاف بين أهل اللغة أن الــصمد هو السيد الذي ليس فوقه أحد ، الذي يصمد إليه الناس في أمورهم وحوائجهم. "[٤]

ويتضح من خلال ذكر ما قاله الإمام أبو حيان أن الله – عزوجل –غني عن كل شيء لأنه كاملفي ذاته، ومنزه عن الحاجة ،ومن كانت هذه صفاته يستحيل نسبة الولد إليه إنما يحتــاج الولد من يريد الاستعانة به والله لا يحتاج إلى أحد فهو الذي يرجع إليه في قضاء الحــوائج فأنى يكون له ولد.

---

[١] المراغي (أحمد مصطفى)- تفسير المراغي – ج١٥ ص ١١٠ ،١١١- مرجع سابق

[٢] أبو حيان الأندلسي – البحر المحيط – ج٨ ص ٢٨-مرجع سابق – انظر الزمخشري (أبو القاسم محمود بن عمروبن أحمد) – الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل – ج٤ ص٢٦٥، ٢٦٦- دار الكتاب العربي - بيروت – ط :٣- ١٤٠٧هــ

[٣] المرجع السابق – ج٨ ص ٢٩

[٤] المرجع السابق – ج ٨ ص٥٢٩

د – نقد عقيدة البنوة عند اليهود بشهادة التاريخ :-

يؤكد الإمام أبو حيان أن اعتقاد اليهود أن لله ولد هو من جانب تأثر اليهود والنصارى بالأمم الوثنية قبلهم فقد قالوا مثل هذه المقولة ، فقال عند قوله تعالى : ﴿ وَقَالَتِ الْيَهُودُ عُزَيْرٌ ابْنُ اللَّهِ وَقَالَتِ النَّصَارَى الْمَسِيحُ ابْنُ اللَّهِ ذَلِكَ قَوْلُهُمْ بِأَفْوَاهِهِمْ يُضَاهِئُونَ قَوْلَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَبْلُ قَاتَلَهُمُ اللَّهُ أَنَّى يُؤْفَكُونَ ﴾(١) "ولا بد من حذف مضاف في قوله : يضاهون أي يضاهي قولهم (والذين كفروا)قدماؤهم فهو كفر قديم فيهم أو المشركون القائلون الملائكة بنات اللّه ، وهو قول الضحاك. أو الضمير عائد على النصارى والذين كفروا اليهود أي : يضاهي قول النصارى في دعواهم بنوّة عيسى قول اليهود في دعواهم بنوّة عزير ، واليهود أقدم من النصارى ، وهو قول قتادة. وقرأ عاصم وابن مصرف : يضاهئون بالهمز ، وباقي السبعة بغير همز." "(٢)

ويتضح المراد بذكر ما قاله الإمام ابن عطية : "وإن كان الضمير في يُضاهِؤُنَ لليهود والنصارى جميعا فالإشارة بقوله الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَبْلُ هي إما لمشركي العرب إذ قالوا الملائكة بنات الله وهم أول كافر وهو قول الضحاك: وإما لاسم سالفة قبلهما، وإما للصدر الأول من كفرة اليهود والنصارى، ويكون يُضاهِؤُنَ لمعاصري محمد صلى الله عليه وسلم، وإن كان الضمير في يُضاهِؤُنَ للنصارى فقط كانت الإشارة ب الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَبْلُ إلى اليهود، وعلى هذا فسر الطبري وحكاه الزهراوي عن قتادة،"(٣)

والأولى من هذين الوجهين أن يكون المراد بالذين كفروا من قبل. جميع الأمم التي ضلت وانحرفت عن الحق، وأشركت مع الله في العبادة آلهة أخرى. (٤)

بين الإمام أبو حيان أن هذا الاعتقاد إنما هو مجرد قول لاكته الألسنة على الله كذبًا وافتراءًا فقال الإمام" ومعنى بأفواههم : أنه قول لا يعضده برهان ، فما هو إلا لفظ فارغ يفوهون به كالألفاظ المهملة التي هي أجراس ونغم لا تدل على معان ، وذلك أن القول الدال على معنى لفظه مقول بالفم ومعناه مؤثر في القلب ، وما لا معنى له يقال بالفم لا غير. وقيل : معنى بأفواهم إلزامهم المقالة والتأكيد ، كما قال : يَكْتُبُونَ الْكِتابَ بِأَيْدِيهِمْ ، وَلا طائِرٍ يَطِيرُ بِجَناحَيْهِ ". (٥)

(١)(التوبة /٣٠)
(٢) المرجع السابق – ج ٥ ص ٣٢
(٣) ابن عطية (أبو محمد عبد الحق بن غالب) – المحرر الوجيز – ج٣ ص ٢٥– مرجع سابق
(٤) طنطاوي (أ / د محمد سيد) – التفسير الوسيط – ج٦ ص ٢٥٩– مرجع سابق
(٥) أبو حيان الأندلسي – البحر المحيط – ج ٥ ص٣٢– مرجع سابق

فهذا القول لا حجة لهم عليه ولا برهان غاية بيانه أن يقال بالأفواه وهو من أقبح الكذب والبهتان الذي لا أساس له من الصحةإلا الخرافات والأوهام

ثانيا-جهود الإمام أبي حيان في نقد عقيدة تجسيم اليهود للذات الإلهية :

إن بني إسرائيل قد عاشوا في مصر ورأوا فرعون وقد ادعى الألوهية وهو أمام أعينهم حيث قال كما أخبر القرءان عنه ﴿ وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ مَا عَلِمْتُ لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرِي فَأَوْقِدْ لِي يَا هَامَانُ عَلَى الطِّينِ فَاجْعَلْ لِي صَرْحًا لَعَلِّي أَطَّلِعُ إِلَى إِلَهِ مُوسَى وَإِنِّي لَأَظُنُّهُ مِنَ الْكَاذِبِينَ﴾ (القصص ٣٨)

لكنهم رأوه وهو بين أيديهم يجري عليه ما يجري عليهم من صفات البشر ولم تكن هذه الصورة الحسية لتفارق أذهان بني إسرائيل وحسهم فاعتقدوا رؤية الآله وتجسيمه فطلبوا من موسى أن يريهم الإله جهرة

وفيما يلي نبرز جهود الإمام أبي حيان في عرض ونقد عقيدة تجسيم اليهود للذات الإلهية في محورين:

المحور الأول: دور الإمام أبي حيان في عرض تجسيم اليهود للذات الإلهية

المحور الثاني: دور الإمام أبي حيان في نقد عقيدة تجسيم اليهود للذات الإلهية

المحور الأول :دور الإمام أبي حيان في عرض تجسيم اليهود للذات الإلهية :

عرض الإمام أبي حيان اعتقاد اليهود في طلبهم من موسى أن يروا الله – تعالى – جهرة فقال عند تفسيره قوله تعالى : ﴿ وَإِذْ قُلْتُمْ يَا مُوسَى لَنْ نُؤْمِنَ لَكَ حَتَّى نَرَى اللَّهَ جَهْرَةً فَأَخَذَتْكُمُ الصَّاعِقَةُ وَأَنْتُمْ تَنْظُرُونَ * ثُمَّ بَعَثْنَاكُمْ مِنْ بَعْدِ مَوْتِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ (البقرة /٥٥-٥٦)

بين الإمام أن المقصود بالرؤية هنا هي الرؤية البصرية فقال : "حَتَّى نَرَى اللَّهَ جَهْرَةً حتى : هنا حرف غاية ، أخبروا بنفي إيمانهم مستصحبا إلى هذه الغاية ومفهومها أنهم إذا رأوا اللّه جهرة آمنوا ، والرؤية هنا : هي البصرية ، وهي التي لا حجاب دونها ولا ساتر وانتصاب جهرة على أنه مصدر مؤكد مزيل لاحتمال الرّؤية أن تكون مناما أو علما بالقلب. والمعنى حتى نرى اللّه عيانا ،" [(١)]

ونقل الإمام عن الزمخشري ما كان من موقف موسى – عليه السلام – من هذا الاعتقاد فقال الإمام:- قال الزمخشري : وفي هذا الكلام دليل على أن موسى عليه السلام رادّهم ، وعرّفهم أن رؤية ما لا يجوز عليه أن يكون في جهة محال ، وأن من استجاز على اللّه

[(١)] أبو حيان الأندلسي – البحر المحيط – ج ١ ص٣٧١ – مرجع سابق

الرؤية ، فقد جعله من جملة الإقسام أو الإعراض ، فرادوه بعد بيـــان الحجـــة ووضـــوح البرهان ، ولجوا فكانوا في الكفر كعبدة العجل ، فسلط اللّه عليهم الصاعقة ، كما سلط على أولئك القتل ، تسوية بين الكفرين ، ودلالة على عظمها بعظم المحنـــة. ا ه. كلامـــه. وهـــو مصرّح باستحالة رؤية اللّه تعالى بالأبصار. وهذه المسألة فيها خلاف بين المسلمين. [١]

ومن خلال هذه النصوص السابق عرضها يبين الإمام أبو حيان أن اليهود جبلوا الإيمان بـــم هو مادي ومحسوس وهذا ما أرادوه من سيدنا موسى فعلقوا إيمانهم به على رؤيـــة ربهـــم –عزو جل – وقد كان من أثر هذا الإتجاه الحسي الذي تأصل في قلوب اليهود ورسخ فـــي أذهانهم أنهم سألوا رسول الله خوارق ومعجزات حسية مادية ترضي رغباتهم الحسية حتى يؤمنوا برسول الله – صلى الله عليه وسلم –**صور رصـــد الإمـــام أبـــي حيـــان للماديـــة اليهودية:-**

ومن أهم هذه المطالب التي سجلها الإمام أبي حيان على اليهود مايلي :-

١-تعليق إيمانهم بالنبي على رؤية الله عزو جل أو نزول كتاب من السماء عليهم :-

إن اليهود علقوا إيمانهم برسول الله صلى الله عليه وسلم بما هو مادي ومحسوس فقال عنـــد تفسيره لقوله تعالى ﴿ يَسْأَلُكَ أَهْلُ الْكِتَابِ أَنْ تُنَزِّلَ عَلَيْهِمْ كِتَابًا مِنَ السَّمَاءِ فَقَدْ سَأَلُوا مُوسَـــى أَكْبَرَ مِنْ ذَلِكَ فَقَالُوا أَرِنَا اللَّهَ جَهْرَةً فَأَخَذَتْهُمُ الصَّاعِقَةُ بِظُلْمِهِمْ ثُمَّ اتَّخَذُوا الْعِجْلَ مِنْ بَعْـــدِ مَـــا جَاءَتْهُمُ الْبَيِّنَاتُ فَعَفَوْنَا عَنْ ذَلِكَ وَآتَيْنَا مُوسَى سُلْطَانًا مُبِينًا ﴾ (النساء / ١٥٣)

قال السدي : قالت اليهود : إن كنت صادقا فجيء بكتاب من السماء جملة كما جاء موســـى بالكتاب. وقال محمد بن كعب القرظي : قالوا : ائت بألواح فيها كتابك كمـــا أتـــى موســـى بألواح فيها التوراة. وقال الحسن وقتادة : سألوه أن يأتي بكتاب خـــاص لليهـــود يـــأمرهم بالإيمان بمحمد صلى اللّه عليه وسلم. وقال ابن جريج : قالوا : لن نتابعك على ما تـــدعونا إليه حتى تأتينا بكتاب من عند اللّه إلى فلان وإلى فلان إنك رسول اللّه. فعلـــى قـــول ابـــن جريج يقتضي أن سؤالهم كان على نحو سؤال عبد اللّه بن أمية الزهري ، وقيـــل : كتابـــا نعاينه حتى ينزل ، وسمي من سائلي اليهود : كعب بن الأشرف ، وفنحاص بن عازوراء. وقيل : السائلون هم اليهود والنصارى وسؤالهم إنما هو على سبيل التعنت. وقال الحـــسن : لو سألوه لكي يتبين الحق لأعطاهم ، فإن فيما أعطاكم كفاية. [٢]

فَقَدْ سَأَلُوا مُوسى أَكْبَرَ مِنْ ذلِكَ فَقالُوا أَرِنَا اللَّهَ جَهْرَةً قدروا قبل هذا كلاما محذوفا ، فجعلـــه الزمخشري شرطا هذا جوابه وتقديره : إن استكبرت ما سألوه منك ، فقـــد ســـألوا موســـى

---

[١] المرجع السابق – ج ١ ص٣٧١ – انظر الزمخشري(أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد) –الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل- ج١ ص١٤١ ،١٤٢- مرجع سابق

[٢] المرجع السابق – ج٣ ص ٤٠١ ،٤٠٢

أكبر من ذلك. وقدره ابن عطية : فلا تبال يا محمد عن سؤالهم وتشطيطهم ، فإنها عادتهم ، فقد سألوا موسى. وأسند السؤال إليهم ، وإن كان إنما وقع من آبائهم من نقبائهم السبعين ، لأنهم راضون بفعل آبائهم ومذاهبهم ، ومشابهون لهم في التعنت. [1]

ثم ذكر الإمام سبب عقاب الله لهم فَأَخَذَتْهُمُ الصَّاعِقَةُ بِظُلْمِهِمْ أي : تعنتهم وسؤالهم ما ليس لهم أن يسألوه. وقال الزمخشري : بظلمهم بسبب سؤالهم الرؤية ، ولو طلبوا أمرا جائزا لما سموا ظالمين ، ولما أخذتهم الصاعقة. كما سأل ابراهيم عليه السّلام أن يريه إحياء الموتى فلم يسمه ظالما ، ولا رماه بالصاعقة للمشبهة ورميا بالصواعق انتهى ، وهو على طريقة الاعتزال في استحالة رؤية اللّه عندهم. وأهل السنة يعتقدون أنهم لم يسألوا محالا عقلا ، لكنه ممتنع من جهة الشرع ، إذ قد أخبر تعالى على ألسنة أنبيائه أنه لا يرى في هذه الحياة الدنيا ، والرؤية في الآخرة ثابتة عن الرسول صلى اللّه عليه وسلم بالتواتر ، وهي جائزة عقلا[2]

ويخبر الإمام أبي حيان أن اليهود طلبوا من رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يروا الله – عز وجل – وملائكته معاينة أو ينزل عليهم كتابًا من السماء مكتوبًا فقال عند تفسيره لقوله تعالى ﴿ أَمْ تُرِيدُونَ أَنْ تَسْأَلُوا رَسُولَكُمْ كَمَا سُئِلَ مُوسَى مِنْ قَبْلُ وَمَنْ يَتَبَدَّلِ الْكُفْرَ بِالْإِيمَانِ فَقَدْ ضَلَّ سَوَاءَ السَّبِيلِ ﴾ (البقرة / ١٠٨)

اختلف في سبب نزول هذه الآية ، فقيل عن ابن عباس : نزلت في عبد اللّه بن أمية ورهط من قريش ، قالوا : يا محمد اجعل الصفا ذهبا ، ووسع لنا أرض مكة ، وفجر الأنهار خلالها تفجيرا ، ونؤمن لك. وقيل : تمنى اليهود وغيرهم من المشركين ، فمن قائل : ائتنا بكتاب من السماء جملة ، كما أتى موسى بالتوراة. ومن قائل : ائتني بكتاب من السماء فيه : من رب العالمين إلى عبد اللّه بن أمية ، إني قد أرسلت محمدا إلى الناس. ومن قائل : لن نؤمن لك حتى تأتي باللّه والملائكة قبيلا. وقيل : إن رافع بن خزيمة ، ووهب بن زيد قالا للنبي صلّى اللّه عليه وسلّم : ائتنا بكتاب من السماء ، وفجر لنا أنهارا ، نتبعك. [3]

٢–تعليق إيمانهم بالنبي على تكليمهم لله عزوجل:–

يصرح الإمام أبو حيان أن اليهود طلبوا من رسول الله – صلى الله عليه وسلم – أن يكلموا الله مباشرة فقال عند قوله تعالى ﴿ وَقَالَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ لَوْلَا يُكَلِّمُنَا اللَّهُ أَوْ تَأْتِينَا

[1] الزمخشري(أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد)الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل ج٣ ص ٤٠٢
[2] المرجع السابق – ج٣ ص ٤٠٢
[3] المرجع السابق – ج١ ص٥١٦

آيَةٌ كَذَلِكَ قَالَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ مِثْلَ قَوْلِهِمْ تَشَابَهَتْ قُلُوبُهُمْ قَدْ بَيَّنَّا الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ﴾ (البقرة / ١١٨)

قال ابن عباس ، والحسن ، والربيع ، والسدي : نزلت في كفار العرب حين ، طلب عبد اللّه بن أمية وغيره ذلك. وقال مجاهد : في النصارى ، ورجحه الطبري لأنهم المذكورون في الآية أولا. وقال ابن عباس أيضا : اليهود الذين كانوا في عهد رسول اللّه صلّى اللّه عليه وسلّم. قال رافع بن خزيمة ، من اليهود : إن كنت رسولا من عند اللّه ، فقل للّه يكلمنا حتى نسمع كلامه ، فأنزل اللّه الآية. وقال قتادة : مشركو مكة. وقيل : الإشارة بقوله : الَّذِينَ لا يَعْلَمُونَ إلى جميع هذه الطوائف ، لأنهم كلهم قالوا هذه المقالة [١] في هذا النص السابق نرى الإمام أبا حيان يذكر المقصود بقوله تعالى :﴿ وقال الذين لا يعلمون ....﴾ فيذكر عدة آراء، منها كفار العرب ، ومنها النصارى ومنها اليهود والراجح من هذه الأقوال التي ساقها الإمام أبو حيان أن المراد بالذين لا يعلمون هم اليهود وذلك لما دل عليه سياق الآيات، حيث جاءت في معرض الحديث عن اليهود.

٣ – تعليق إيمانهم بالنبي – صلى الله عليه وسلم – على رؤيتهم لقربان تأكله النار:

يخبر الإمام أبو حيان أن اليهود طلبوا من الرسول – صلى الله عليه وسلم – أن يقدم لهم قربانًا تنزل نار من السماء فتأكله فقال عند تفسيره لقوله تعالى ﴿ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ عَهِدَ إِلَيْنَا أَلَّا نُؤْمِنَ لِرَسُولٍ حَتَّى يَأْتِيَنَا بِقُرْبَانٍ تَأْكُلُهُ النَّارُ قُلْ قَدْ جَاءَكُمْ رُسُلٌ مِنْ قَبْلِي بِالْبَيِّنَاتِ وَبِالَّذِي قُلْتُمْ فَلِمَ قَتَلْتُمُوهُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴾ (آل عمران / ١٨٣)

"قال الكعبي: نزلت في كعب بن الأشرف، ومالك بن الصيف، ووهب بن يهوذا، وزيد بن مانوه، وفنحاص بن عازوراء، وحيي بن أخطب، أتوا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا: تزعم أن الله بعثك إلينا رسولا، وأنزل عليك كتابا، وأن الله قد عهد إلينا في التوراة أن لا نؤمن لرسول يزعم أنه من عند الله حتى يأتينا بقربان تأكله النار، فإن جئتنا به صدقناك." [٢]

وبين الإمام حقيقة هذا العهد "وظاهر هذا القول أنه عهد إليهم في التوراة، فقيل: كان هذا في التوراة، ولكن كان تمام الكلام حتى يأتيكم المسيح ومحمد، فإذا أتياكم فآمنوا بهما من غير قربان. وقيل: كان أمر القرابين ثابتا، إلى أن نسخت على لسان المسيح. وقيل: ذكرهم هذا العهد هو من كذبهم على الله تعالى، وافترائهم عليه، وعلى أنبيائه." [٣]

---

[١] الزمخشري)الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل ج١ ص٥٣٦ – مرجع سابق

[٢] المرجع السابق – ج٣ ص١٣٧

[٣] المرجع السابق – ج٣ ص١٣٧

والقربان: ما يتقرب به من شاة أو بقرة أو غير ذلك، وهو في الأصل مصدر سمي المفعول به كالرهن، وكان حكمه قديما في الأنبياء. ألا ترى إلى قصة ابني آدم، وكان أكل النار ذلك القربان دليلا على قبول العمل من صدقة أو عمل، أو صدق مقالة. وإذا لم تنزل النار فليس بمقبول، وكانت النار أيضا تنزل للغنائم فتحرقها. وإسناد الأكل إلى النار مجاز واستعارة عن إذهاب الشيء وإفنائه، إذ حقيقة الأكل إنما توجد في الحيوان المتغذي، والقربان وأكل النار معجز للنبي يوجب الإيمان به، فهو وسائر المعجزات سواء. ولله أن يعين من الآيات ما شاء لأنبيائه، وهذا نظير ما يقترحونه من الآيات على سبيل التبكيت والتعجيز. وقد أخبر تعالى أنه لو نزل ما اقترحوه لما آمنوا [١]

ومن خلال هذه النصوص نجد أن أبا حيان يقرر عقيدة اليهود المنحرفة في الذات الإلهية فهم لا يؤمنون إلا بما هو محسوس تدركه الحواس فالمادية أساس اعتقادهم في الإيمان بالذات الإلهية

والإمام يشير إلى صفات التجسيم التي يعتقد اليهود في نسبتها لله وهي كثيرة في كتبهم حيث جاءت أسفارهم تحتوي على كثير من الفقرات التي تبرز الإله في قالب حسي محض كسائر البشر

ومن هذه الفقرات ما يلي :-

١ - يعتقدون أن الإله يسكن في جبل صهيون حيث جاء في التوراة " والرب يسكن في صهيون" [٢] " مبارك الرب من صهيون الساكن في أورشليم" [٣] " لأن الرب قد اختار صهيون اشتهاها مسكنا له ، هذه هي راحتي إلى الأبد ،هاهنا أسكن لأني اشتهيتها "" [٤]

٢ - أنهم كانوا يعتقدون أن الإله كان يسير معهم في الصحراء فقد ورد ذلك في التوراة "وكان الرب يسير أمامهم نهارا في عمود سحاب ليهديهم في الطريق ، وليلا في عمود نار ليضيء لهم لكي يمشوا نهارا وليلا ، لم يبرح عمود السحاب نهارا وعمود النار ليلا من أمام الشعب "[٥]

٣ - أنهم يعتقدون أن الإله رآه موسى وشيوخ بني إسرائيل وجها لوجه فقد ورد في التوراة " ويكلم الرب موسى وجها لوجه كما يكلم الرجل صاحبه"[٦] فقال الرب لموسى "اجمع إلي سبعين رجلا من شيوخ إسرائيل الذين تعلم أنهم شيوخ الشعب وعرفاؤه واقبل

---

(١) الزمخشري- الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل - ج٣ ص١٣٧
(٢) سفر يوئيل (٣ /٢١)
(٣) سفر المزامير(١٣٥ / ٢١)
(٤) سفر المزامير (١٣٢ / ١٣ - ١٤)
(٥) سفر الخروج (٢٢/٢١/١٣)
(٦) سفر الخروج (٢٣ / ١١)

بهم إلى خيمة الاجتماع فيقفوا هناك معك فأنزل أنا وأتكلم معك هناك وأخذمن الروح الـذي عليك وأضع عليهم فيحملون معك ثقل الشعب فلا تحمل أنت وحدك"[1] وأختم بهذا النص البالغ التجسيم للإله" يجلس على كرسي عال، ومرتفع وأزياله تملأ الهيكل"[2]ومما سبق من المقارنة لما عرضه الإمام أبو حيان في وصف اليهود للإله بصفات حسية محضة وما جاء في أسفارهم يتضح صحة ما عرضه الإمام أبو حيان أن اليهود أثبتوا لله التجسيم والتمثيل تعالى الله عن ذلك علوًا كبيرًا

المحور الثاني: دور الإمام أبي حيان في نقد عقيدة تجسيم اليهود للذات الإلهية :

لقد سلك الإمام أبو حيان في نقده لفساد تصور اليهود في إمكانية رؤية الله وتكليمه وتجسيمه ثلاثة مسالك وهي :

نقد هذه العقيدة الفاسدة في ضوء العقل والمنطق:

يقرر الإمام أبو حيان أن رؤية الله – عزو جل – غير ممكنة للبشر في الدنيا فقال الإمام أبو حيان عند تفسيره لقول الله تعالى ﴿ لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ ﴾ (الأنعام / ١٠٣)

لا تُدْرِكُهُ الْأَبْصارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصارَ الإدراك قيل معناه الإحاطة بالشيء وبذلك فسره هنا ابن عباس وقتادة وعطية العوفي وابن المسيب والزجاج ، قال ابن المسيب لا تحيط به الأبصار ، وقال الزجاج : لا تحيط بحقيقته والإدراك يتضمن الإحاطة بالشيء والوصول إلى أعماقه وحوزه من جميع جهاته أو كنى بالإبصار عن الأشخاص لأن بها تدرك الأشخاص الأشياء ، وكان المعنى لا تدركه الخلق وهو يدركهم أو يكون المعنى إبصار القلب أي لا تدركه علوم الخلق وهو يدرك علومهم وذواتهم ، لأنه غير محاط به وهو على هذا مستحيل على اللّه عند المسلمين ولا تنافي الرؤية انتفاء الإدراك ، وقيل : الإدراك هنا الرؤية وهي مختلف فيها بين المسلمين فالمعتزلة يحيلونها وأهل السنة يجوزونها عقلا [3] ويقولون : هي واقعة سمعا وهذه مسألة يبحث عنها في علم أصول الدين وفيه ذكر دلائل الفريقين مستوفاة وقد رأيت فيها لأبي جعفر الطوسي وهو من عقلاء الإمامية سفرا كبيرا ينصر فيه مقالة أصحابه نفاة الرؤية وقد استدل نفاة الرؤية بهذه الآية لمذهبهم وأجيبوا بأن الإدراك غير الرؤية ، وعلى تسليم أن الإدراك هو الرؤية فالابصار مخصوصة أي أبصار الكفار الذين سبق ذكرهم أو لا تدركه في الدنيا ، قال الماتريدي : والبصر هو الجوهر

[1] سفر العدد (١١/ ١٦ –١٧)

[2] سفر اشعياء (٦/ ٣١)

[3] أبو حيان الأندلسي – البحر المحيط – ج٤ ص ١٩٨ – مرجع سابق

اللطيف الذي ركبه اللّه تعالى في حاسة النظر به تدرك المبصرات وفي قوله : وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصارَ دلالة على أن الإدراك لا يراد به هنا مجرد الرؤية إذ لو كان مجرد الرؤية لم يكن له تعالى بذلك اختصاص ولا تمدح ، لأنا نحن نرى الأبصار فدل على أن معنى الإدراك الإحاطة بحقيقة الشيء فهو تعالى لا تحيط بحقيقته الأبصار وهو محيط بحقيقتها ، وقال الزمخشري : والمعنى أن الأبصار لا تتعلق به ولا تدركه ، لأنه متعال أن يكون مبصرا في ذاته لأن الأبصار إنما تتعلق بما كان في جهة أصلا أو تابعا كالأجسام والهيئات وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصارَ وهو للطف إدراكه للمدركات يدرك تلك الجواهر اللطيفة التي لا يدركها مدرك. [١]

ويؤيد الإمام الرازي هذا الكلام بقوله " احتج أصحابنا بهذه الآية على أنه تعالى تجوز رؤيته والمؤمنين يرونه يوم القيامة من وجوه: الأول: في تقرير هذا المطلوب أن نقول: هذه الآية تدل على أنه تعالى تجوز رؤيته.وإذا ثبت هذا وجب القطع بأن المؤمنين يرونه يوم القيامة.أما المقام الأول: فتقريره: أنه تعالى تمدح بقوله: لا تدركه الأبصار وذلك مما يساعد الخصم عليه، وعليه بنوا استدلالهم في إثبات مذهبهم في نفي الرؤية.

وإذا ثبت هذا فنقول: لو لم يكن تعالى جائز الرؤية لما حصل التمدح بقوله: لا تدركه الأبصار ألا ترى أن المعدوم لا تصح رؤيته. والعلوم والقدرة والإرادة والروائح والطعوم لا يصح رؤية شيء منها، ولا مدح لشيء منها في كونها بحيث لا تصح رؤيتها، فثبت أن قوله: لا تدركه الأبصار يفيد المدح "[٢]

وبهذا يبطل الإمام أبوحيان اعتقاد اليهود في رؤية الله عزوجل ببيان أن البشر لا يمكنهم رؤية الله في الدنيا فرؤية الله في الدنيا فوق إمكان المخلوقين وقدرتهم .

٢ – نقد هذه العقيدة الفاسدة في ضوء الأدلة الحسية :-

لقد استدل الإمام أبو حيان على بطلان هذه العقيدة بدليل عملي قاطع ،وهو أن موسى لما طلب رؤية الله – عزوجل – أعلمه الله – عز وجل – بأنه لا يستطيع رؤيته ثم علل على ذلك استقرار الجبل لأنه أشد في الخلق وأكبر فلما تجلى الله – عزوجل – للجبل اندك الجبل وخر موسى مغشيًا عليه فلما أفاق أيقن أن الله – عزوجل– لا يراه أحد من البشر في الدنيا فنزه الله – عزوجل – عن هذا بقوله أنا أول المؤمنين بأنه لا يراك أحد.

فقال عند تفسيره لقوله تعالى ﴿ وَلَمَّا جَاءَ مُوسَى لِمِيقَاتِنَا وَكَلَّمَهُ رَبُّهُ قَالَ رَبِّ أَرِنِي أَنْظُرْ إِلَيْكَ قَالَ لَنْ تَرَانِي وَلَكِنِ انْظُرْ إِلَى الْجَبَلِ فَإِنِ اسْتَقَرَّ مَكَانَهُ فَسَوْفَ تَرَانِي فَلَمَّا تَجَلَّى رَبُّهُ

---

(١) المرجع السابق – ج٤ ص ١٩٨ ،١٩٩

(٢) الرازي (فخر الدين) – مفاتيح الغيب – ج ١٣ ص٩٧– دار إحياء التراث العربي – بيروت – الطبعة: الثالثة – ١٤٢٠ هـ

لِلْجَبَلِ جَعَلَهُ دَكًّا وَخَرَّ مُوسَى صَعِقًا فَلَمَّا أَفَاقَ قَالَ سُبْحَانَكَ تُبْتُ إِلَيْكَ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُؤْمِنِينَ ﴾ (الأعراف / ١٤٣)

"قال ابن عطية نصّ على منعه الرؤية في الدنيا ولن تنفي المستقبل فلو بقينا على هذا النفي بمجرّده لتضمن أنّ موسى لا يراه أبدا ولا في الآخرة لكن ورد من جهة أخرى الحديث المتواتر أن أهل الإيمان يرون اللّه تعالى يوم القيامة فموسى عليه السلام أحرى برؤيته " [١]

ثم قال الإمام " قال الزمخشري : (فإن قلت) : ما معنى لَنْ ، (قلت) : تأكيد النفي الذي تعطيه لا وذلك أن لا تنفي المستقبل تقول لا أفعل غدا فإذا أكدت نفيها قلت لن أفعل غدا والمعنى أن فعله ينافي حالي كقوله لَنْ يَخْلُقُوا ذُباباً وَلَوِ اجْتَمَعُوا لَهُ وقوله لا تُدْرِكُهُ الْأَبْصارُ نفي للرؤية فيما يستقبل ولن تراني تأكيد وبيان (فإن قلت) : كيف قال لن تراني ولم يقل لن تنظر إليّ لقوله أَنْظُرْ إِلَيْكَ ، (قلت) : لما قال أَرِنِي بمعنى اجعلني متمكنا من الرؤية التي هي الإدراك علم أنّ الطلبة هي الرؤية لا النظر الذي لا إدراك معه فقيل لن تراني ولم يقل لن تنظر إليّ." [٢]

﴿وَلكِنِ انْظُرْ إِلَى الْجَبَلِ فَإِنِ اسْتَقَرَّ مَكانَهُ فَسَوْفَ تَرانِي ﴾"قال مجاهد وغيره : ولكن سأتجلى للجبل الذي هو أقوى منك وأشدّ فإن استقرّ وأطاق الصبر لهيبتي فسيمكنك أنت رؤيتي ، قال ابن عطية : فعلى هذا إنما جعل اللّه له الجبل مثالا ، وقالت فرقة : إنما المعنى سأبتدىء لك على الجبل فإن استقرّ لعظمتي فسوف تراني انتهى ، وتعليق الرؤية على تقدير الاستقرار مؤذن بعدمها إن لم يستقر ونبّه بذلك على أنّ الجبل مع شدته وصلابته إذا لم يستقر فالآدمي مع ضعف بنيته أولى بأن لا يستقرّ وهذا تسكين لقلب موسى وتخفيف عنه من ثقل أعباء المنع." [٣]

وبهذا أبطل الإمام أبو حيان اعتقاد اليهود في رؤية الله – عزوجل – التي هي فرع من التجسيم الذي ملأ نصوص كتبهم بالدليل الحسي القاطع والبرهان الساطع حيث إن موسى – عليه السلام لما طلب رؤية الله – عز وجل – خر مغشيًا عليه ولم يقو الجبل أن يتحمل تجلي المولى – جل وعلا – عليه فصار الجبل دكًا وبذلك أبطل كل ما تصوره اليهود في حق الله من نصوص التجسيم التي ملأت كتبهم فالله ليس كمثله شيء وهو السميع البصير.

---

[١] أبو حيان الأندلسي – البحر المحيط – ج٤ ص٣٨١– مرجع سابق

[٢] المرجع السابق – ج٤ ص٣٨١

[٣] المرجع السابق– ج٤ ص٣٨١

٣ – نقد هذه العقيدة الفاسدة في ضوء النقل :–

أخبر الإمام ابو حيان أن النبي – صلى الله عليه وسلم – أكد لليهود المعاصرين له أن نبي اللهموسى عليه السلام لم يستطع أن يرى ربه في الدنيا ،لأن رؤية الله تعالى غير ممكنة للبشر في الدنيا وذلك حين قالوا لرسول الله صلى الله عليه وسلم إن موسى رأى ربه . قال عند تفسيره لقوله تعالى ﴿ وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَنْ يُكَلِّمَهُ اللَّهُ إِلَّا وَحْيًا أَوْ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولًا فَيُوحِيَ بِإِذْنِهِ مَا يَشَاءُ إِنَّهُ عَلِيٌّ حَكِيمٌ ﴾ (الشورى/٥١)

فعن سبب نزول الآية يقول أبو حيان

"كان من الكفار خوض في معنى تكليم اللّه موسى ، فذهبت قريش واليهود في ذلك إلى التجسيم ، فنزلت. وقيل : كانت قريش تقول : ألا تكلم اللّه وتنظر إليه إن كنت نبيا صادقا ، كما كلمه موسى ونظر إليه؟ فقال لهم الرسول عليه السلام : «لم ينظر موسى إلى اللّه» ، فنزلت : وَما كانَ لِبَشَرٍ أَنْ يُكَلِّمَهُ اللَّهُ" [١]

ثم نقل الإمام عن الزمخشري قوله فقال وقال الزمخشري : وما صح لأحد من البشر أن يكلمه اللّه إلا على ثلاثة أوجه : إما على طريق الوحي ، وهو الإلهام والقذف في القلب والمنام ، كما أوحى إلى أم موسى وإلى إبراهيم عليه السلام في ذبح ولده." [٢]

وقول الإمام أبي حيان في سبب نزول الآية إشارة إلى ماذكره الإمام الواحدي في سبب نزول هذه الآية حيث قال " وذلك أن اليهود قالوا للنبي صلى الله عليه وسلم: ألا تكلم الله وتنظر إليه إن كنت نبيا، كما كلمه موسى ونظر إليه؟ فإنا لن نؤمن لك حتى تفعل ذلك. فقال: لم ينظر موسى إلى الله عز وجل، فأنزل الله تعالى هذه الآية." [٣]

٢–جهود الإمام أبي حيان في نقد عقيدة تشبيه اليهود للذات الإلهية من خلال تفسيره البحرالمحيط إن القرءان الكريم يقرر بوضوح أن العقيدة التي جاء بها موسى هي توحيد الله – عزوجل – القائم على تنزيهه – سبحانه وتعالى – عن الشرك والتجسيم والتشبيه وصفات النقص التي لاتليق بذات الله وكماله وجلاله قال تعالى اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى * وَهَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ مُوسَى * إِذْ رَأَى نَارًا فَقَالَ لِأَهْلِهِ امْكُثُوا إِنِّي آَنَسْتُ نَارًا لَعَلِّي آَتِيكُمْ مِنْهَا بِقَبَسٍ أَوْ أَجِدُ عَلَى النَّارِ هُدًى* فَلَمَّا أَتَاهَا نُودِيَ يَا مُوسَى * إِنِّي أَنَا رَبُّكَ فَاخْلَعْ نَعْلَيْكَ إِنَّكَ بِالْوَادِ الْمُقَدَّسِ طُوًى * وَأَنَا اخْتَرْتُكَ فَاسْتَمِعْ لِمَا يُوحَى *إِنَّنِي أَنَا اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدْنِي وَأَقِمِ الصَّلَاةَ لِذِكْرِي ﴾ (طه/٤–٨)

---

(١) المرجع السابق ج٧ ص ٥٠٣

(٢) المرجع السابق ج٧ ص٥٠٣ – الزمخشري (أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد) – الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل – ج٤ ص ٢٣٣ – المرجع السابق

(٣) الواحدي (أبو الحسن علي بن أحمد بن محمد بن علي) – أسباب نزول القرءان – ت :كمال بسيوني زغلول – ج ٣٩٠ – دار الكتب العلمية – بيروت – ط : ١، ١٤١١ هـ

وقال تعالى : ﴿ فَلَمَّا قَضَى مُوسَى الْأَجَلَ وَسَارَ بِأَهْلِهِ آَنَسَ مِنْ جَانِبِ الطُّورِ نَارًا قَالَ لِأَهْلِهِ امْكُثُوا إِنِّي آَنَسْتُ نَارًا لَعَلِّي آَتِيكُمْ مِنْهَا بِخَبَرٍ أَوْ جَذْوَةٍ مِنَ النَّارِ لَعَلَّكُمْ تَصْطَلُونَ * فَلَمَّا أَتَاهَا نُودِيَ مِنْ شَاطِئِ الْوَادِ الْأَيْمَنِ فِي الْبُقْعَةِ الْمُبَارَكَةِ مِنَ الشَّجَرَةِ أَنْ يَا مُوسَى إِنِّي أَنَا اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ ﴾ (القصص /٢٩ – ٣٠)

إن الذي يستقرىء التوراة على وضعها الحالي المحرف يجد أنه مازال فيها بقايا من النصوص التي تبين ملامح العقيدة التي جاء بها موسى –عليه السلام – من الدعوة إلى توحيد الله – عزوجل – وتنزيهه عن الشرك والنقص ،مع وصفه بصفات الكمال والجلال التي تليق بذاته المقدسة .

١-جاء في سفر أشعياء "أنا الرب وليس ءاخر لا إله سواي لأنه هكذا قال الرب : أنا الرب وليس ءاخر أليس أنا الرب ولا إله غيري لأني أنا الله وليس ءاخر " [١]

٢-جاء في سفر التثنية "أنا الرب هو الإله لا إله سواي "[٢]

٣-جاء في سفر المزامير "أنت الله وحدك" "[٣]

٤-جاء في سفر الخروج " أنا الرب إلهك الذي أخرجك من أرض مصر من بيت العبودية ، لا يكن لك ءالهة أخرى سواي"(٤)

٥- جاء في سفر التثنية " اسمع يا إسرائيل : الرب إلهنا رب واحد "[٥]

٦- جاء في سفر التكوين " أنا الرب القدير " "(٦)

٧-جاء في سفر أشعياء "أنا الرب صانع كل شىء ناشر كل شيء وحدي، باسط الأرض من معي؟"[٧]

في هذه الفقرات تقرير واضح ودعوة صريحة إلى توحيد الله – عز وجل – وتنزيهه من الشرك والتمثيل والتشبيه ،مع بيان ما يجب له من صفات الجمال والكمال التي تليق بذاته المقدسة .لكن اليهود حرفوا عقيدتهم واتبعوا أهواءهم وأشركوا بالله مالم ينزل به سلطانا وصوروا الإله بصور بشرية وشبهوه بخلقه ووصفوه بأقبح الصفات

ولقد عرض الإمام أبو حيان جانبا من عقيدة اليهود المحرفة في الذات الإلهية فذكر أن اليهود شبهوا الذات الإلهية بالمخلوقين ووصفوها بصفات النقائص والعيوب والتي من

[١] سفرأشعياء (٤٥ /٥)
[٢] سفرالتثنية (٣٥ /٥)
[٣] سفر المزامير (٨٦ /١٠)
[٤] سفر الخروج (٢٥ /٢-٤)
[٥] سفر التثنية (٤/٦)
[٦] سفر التكوين (١٧ /٤)
[٧] سفر أشعياء (٢٤/٤٤)

أقبحها نسبة الفقر، والبخل والعجز والتعب لله – عز وجل – تعالى الله عن ذلك علوًا كبيراً .

وفيما يلي نبرز دور الإمام أبي حيان في عرض ودحض عقائد اليهود الفاسدة :

أولا:- زعمهم أن الله – عز وجل – فقير:

كان من خبث اليهود وسوء أدبهم مع الله – أنهم نسبوا لله – عز وجل – الفقر واعتقدوا أنهم أغنى من الله وأنه في حاجة إلى أموالهم ولقد تعرض الإمام لتوضيح هذه المقولة والرد عليها فقال عند تفسيره لقوله تعالى ﴿ لَقَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَاءُ سَنَكْتُبُ مَا قَالُوا وَقَتْلَهُمُ الْأَنْبِيَاءَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَنَقُولُ ذُوقُوا عَذَابَ الْحَرِيقِ ﴾ (آل عمران /١٨١)

" نزلت في فنحاص بن عازوراء، حاوره أبو بكر في الإسلام وأن يقرض الله قرضا حسنا فقال: هذه المقالة فضربه أبو بكر ومنعه من قبله العهد، فشكاه إلى الرسول وأنكر ما قال، فنزلت تكذيبا لفنحاص، وتصديقا للصديق قاله: ابن عباس، وعكرمة، والسدي، ومقاتل، وابن إسحاق رضي الله عنهم، وساقوا القصة مطولة. وقال قتادة: نزلت في حيي بن أخطب، وقال هو أيضا والحسن ومعمر وغيرهم: في اليهود. وذكر أبو سليمان الدمشقي في إلياس بن عمر. ولما نزل من ذا الذي يقرض الله قرضا حسنا قال أو قالوا: إنما يستقرض الفقير الغني، والظاهر أن قائل ذلك جمع، فيمكن أن ذلك صدر من فنحاص أو حيي أولا، ثم تقاولها اليهود، أو صدر ذلك من واحد فقط، ونسب للجماعة على عادة كلام العرب في نسبتها إلى القبيلة فعل الواحد منها." [١]

ففي هذا النص يوضح الإمام أبو حيان مقولة اليهود في وصفهم الحق – جل وعلا – بالفقر وهذا الوصف نتج عن سوء فهمهم لمعنى قوله تعالى ﴿ مَنْ ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضَاعِفَهُ لَهُ أَضْعَافًا كَثِيرَةً وَاللَّهُ يَقْبِضُ وَيَبْسُطُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴾ (البقرة /٢٤٥)

ومن خلال ما سبق عرضه يشير الإمام أبي حيان إلى حقيقة هامة لا ريب فيها وهي النزعة المادية عند لليهود وأنهم اتخذوها عقيدة يفسرون بها كلام الله – عز وجل – فحينما دعاهم أبو بكر إلى أن يقرضا الله قرضًا حسناً اعتقدوا أن الله فقير وهم أغنى منه.

(١) أبو حيان الأندلسي – البحر المحيط – ج ٣ ص١٣٥– مرجع سابق

"وبهذا انحرفوا عن وحي السماء في تصور الإله ، واتبعوا أهواءهم ،فوصفوا الله عز وجل بصفات النقص والاحتياج " لأنهم أخذوا هذه المسألة بهذا الفهم بغباء المادة فقالوا " إن الله فقير ونحن اغنياء" (١)

(١) الشعراوي – تفسير الشعراوي – ج ٣ ص١٩٠٩– مطبعة أخبار اليوم – (د – ت)

الخاتمة:

ومن خلال ما سبق بيانه يذكر الإمام أبو حيان بوضوح وجلاء طرفاً مـــن عقيـــدة اليهـــود المنحرفة في تصور الذات الإلهية حيث وصفوا الذات الإلهية بـــصفات بـــشرية محـــضة فشبهوه بخلقه وأثبتوا له التشبيه وصفات النقائص والعيوب ،وإذا رجعنا إلى أسفار اليهـــود التي يقدسونها نجد صحة ما قرره الإمام أبو حيان من عقيدتهم المنحرفة في تصور الـــذات الإلهية حيث جاءت بعض نصوص أسفارهم تحتوي على كثير من الصفات التي تبرز الإله في صفات بشرية صريحة واضحة ومن هذه النصوص :

١-" فندم الرب على الشر الذي قال إنه يفعله بشعبه "[١]

٢-" وكان الرب يسير أمامهم نهارا في عمود سحاب ليهديهم في الطريـــق ، ولـــيلا فـــي عمود نار ليضيء لهم "وغيرها الكثير

[١] سفر الخروج: ١٤:٣٢

المصادر والمراجع:

١. أبو حيان : البحر المحيط في التفسير، تحقيق : صدقي محمد جميل، الناشر: دار الفكر – بيروت، الطبعة: ١٤٢٠ هـ

٢. المراغي (أحمد مصطفى)– تفسير المراغي – ج١٦ ص ٨٨ –شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابى الحلبي وأولاده بمصر – ط : ١ ،١٣٦٥ه – ١٩٤٦م

٣. الزمخشري (أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد) – الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل – ج٤ ص٢٦٥، ٢٦٦– دار الكتاب العربي – بيروت – ط :٣– ١٤٠٧هـ

٤. طنطاوي (أ / د محمد سيد) – التفسير الوسيط للقرآن الكريم ،الناشر: دار نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، الفجالة – القاهرة ، الطبعة: الأولى١٩٩٧م

٥. الرازي (فخر الدين) – مفاتيح الغيب – ج ١٣ ص٩٧– دار إحياء التراث العربي – بيروت – الطبعة: الثالثة – ١٤٢٠ هـ

٦. الواحدي (أبو الحسن علي بن أحمد بن محمد بن علي) – أسباب نزول القرءان – ت :كمال بسيوني زغلول – ج ٣٩٠ – دار الكتب العلمية – بيروت – ط :١، ١٤١١ هـ

٧. الشعراوي – تفسير الشعراوي – ج ٣ ص١٩٠٩– مطبعة أخبار اليوم – (د – ت)

٨. الزمخشري (أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد) –الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل – ج١

٩. البخاري : الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله صلى الله عليه وسلم وسننه وأيامه = صحيح البخاري ، تحقيق : محمد زهير بن ناصر الناصر، الناشر: دار طوق النجاة (مصورة عن السلطانية بإضافة ترقيم ترقيم محمد فؤاد عبد الباقي) الطبعة: الأولى، ١٤٢٢هـ